

إضاءات نقدية (فصلية محكمة)

السنة السادسة - العدد الحادي والعشرون - ربيع ١٣٩٥ ش / آذار ٢٠١٦ م

صص ١٨٢ - ١٥٧

تحليل خطاب أبي العلاء المعرى في رسالة الصاهل والشاحج

هو من ناظميان*

الملخص

رسالة الصاهل والشاحج من الأعمال الأدبية البارزة في العصر العباسي من الناحيتين الموضوعية والشكلية التي قلما حظيت باهتمام النقاد والدارسين. ألفها أبو العلاء المعرى مُوجَّهاً إلى أبي شجاع فاتك الملقب بعزيز الدولة والى حلب للفاطميين حوالي سنة ٤١١ أو ٤١٢ ق وتحدث فيها عن قضايا أدبية، نقدية، تاريخية، اجتماعية، وسياسية عبر الحوار بين فرس يدعى الصاهل وبغل يدعى الشاحج، وأودعها كثيراً من المعلومات، والألغاز اللغوية، والنحوية، والعروضية، والقضايا المتصلة بالعلاقات السياسية بين والى حلب والفاطميين من جهة، وبينه وملك الروم من جهة أخرى وصور أحوال الناس خلال أزمة حدثت إثر الصفقات السياسية بين عزيز الدولة والى حلب وبسيل، ملك الروم. قمنا بدراسة هذه الرسالة لتبيين دور السلطة والأيدولوجيا في تكوين خطاب أبي العلاء ولغته في هذه الرسالة وفي ضوء التحليل النقدي للخطاب. تخلص هذه الدراسة إلى أنه بإمكاننا أن نقسم خطاب أبي العلاء المعرى في هذه الرسالة إلى أربعة أنواع: الخطاب الأدبي الذي يضم معلوماته الواسعة في مجال الشعر واللغة والنحو والعروض، والخطاب السياسي الذي يتمثل في تصويره لقضايا سياسية بين والى حلب وملك الروم، والخطاب الاجتماعي الذي يتبلور في تصويره لأحوال الناس خلال أزمة غزو الروم لحلب وخطاب الدعاية بين الروم والمسلمين. لعبت السلطة السياسية والثقافية دوراً رئيساً في تكوين خطاب أبي العلاء ولغته.

الكلمات الدليلة: تحليل الخطاب، العصر العباسي، أبو العلاء المعرى، رسالة الصاهل والشاحج.

*. أستاذ مساعد في فرع اللغة العربية وآدابها بجامعة الخوارزمي، طهران، إيران

nazemian@khu.ac.ir

تاريخ القبول: ١٣٩٤/١١/٢٥ ش

تاريخ الوصول: ١٣٩٤/٧/٨ ش

المقدمة

تحليل الخطاب ظاهرة تتعلق بالدراسات البيئية والحقول المتداخلة وترتبط بقضايا مختلفة في شتى الفروع العلمية والتخصصات كاللسانيات، والدراسات الأدبية، والأسلوبية، وعلم النفس، وعلم الاجتماع، والتاريخ. (ون دايك، ١٣٩٤ش: ١٣ و١٤) والتحليل النقدي للخطاب من أحدث اتجاهاته التي تدرس وظيفة اللغة في المجتمع والسياسة ولهذا يدرس اللغة في اتصاله بالأيديولوجيا، والسلطة، والتاريخ، والمجتمع في مستوى النصوص المكتوبة والمنطوقة. (آقاگل زاده، ١٣٨٥ش: ١٣٨٥) (نُه) بإمكاننا أن نستفيد منه في دراسة النصوص التراثية التي تعكس القضايا السياسية والتاريخية للمجتمع العربي والإسلامي كرسالة الصاهل والشاحج لأبي العلاء المعري وهي رسالة ضخمة من الرسائل القيمة لأبي العلاء المعري التي ألفها حوالي سنة ٤١١ أو ٤١٢ق. (المعري، ١٩٨٤م: ٥١)

حاولنا في هذه المقالة أن ندرس دور السلطة والأيديولوجيا في تكوين خطاب أبي العلاء ولغته في رسالة الصاهل والشاحج من منظار التحليل النقدي للخطاب؛ لأن هذه الرسالة وثيقة هامة تدل على العلاقات السياسية بين حلب ومصر والروم، وتشمل معلومات قيمة حول الظروف الاجتماعية لمجتمع حلب وموسوعة أدبية، لغوية ونقدية حافلة بالنكت العروضية والنوادر الأدبية، فهي رسالة صالحة للدراسة من جوانب متعددة.

خلفية البحث

قلما اهتم النقاد والدارسون بهذه الرسالة على الرغم من اهتمامهم بأبي العلاء وأدبه وتشاؤمه، ربما بسبب ظنهم أنها محاكاة لكلييلة ودمنة. بحث راقم هذه السطور كثيرا ليجد دراسات مستقلة تختص بهذه الرسالة ولكن لم يجد إلا قليلا وهي:

المقدمة القيمة التي كتبها عائشة عبدالرحمن بنت شاطئ في تحقيقها لمخطوطة الرسالة. درس صلاح رزق هذه الرسالة خلال دراسته لنشر أبي العلاء في كتابه "نثر أبي العلاء

المعري؛ دراسة فنية".

مقالة لأحمد الطرابلسي تحت عنوان "رسالة الصاهل والشاحج" في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق.

مقاله ليوسف الشاروني في مجلة القصة تحت عنوان "العرب والقصة؛ الصاهل والشاحج نموذجاً".

فلم يعثر الباحث على دراسة تهتم بخطاب أبي العلاء في رسالة "الصاهل والشاحج" أو القضايا اللغوية والأدبية والسياسية والاجتماعية فيها، فرأى من الضرورة أن يدرس اللغة والسلطة والأيدولوجيا في هذه الرسالة من منظار التحليل النقدي للخطاب.

فحث الباحث على القيام بدراسة هذه الرسالة لتبيين الصلة بين اللغة والسلطة والأيدولوجيا في خطاب أبي العلاء في هذه الرسالة، والإجابة عن الأسئلة التالية:

١. ما هي أنواع خطاب أبي العلاء المعري في رسالة الصاهل والشاحج؟
٢. كيف كونت السلطة السياسية والثقافية خطاب أبي العلاء؟
٣. كيف أثرت السلطة السياسية والثقافية على لغة أبي العلاء؟

الخطاب

لفظة الخطاب (discourse) مأخوذة من اللفظة الفرنسية (discours) وهي بدورها مقتبسة من اللفظة اللاتينية (discursus) بمعنى الحوار والكلام. (مك دانل ، ١٣٨٠ش: ١٠؛ وناظميان، ١٣٩١ش: ٣) كان اللساني الإنكليزي زليك هريس رائد دراسات الخطاب في عام ١٩٥٢م الذي وسّع مفهوم الخطاب إلى مجال أوسع من الجملة ولهذا كان تحليل الخطاب في بداياته مرتكزا على الألسنية لكنه تجاوز في ما بعد إلى الاهتمام بالجوانب الاجتماعية والثقافية. (يقطين، ٢٠٠٥م: ١٧ و ١٨)

فمفهوم الخطاب، ظاهرة معقدة متعددة الجوانب تتداخل فيها حقول معرفية مختلفة من الدراسات الأدبية والثقافية إلى علم الاجتماع والسياسة والفن والسينما وعلم النفس و... (مك دانل، ١٣٨٠ش: ٩) تعدد مفهوم مصطلح الخطاب بتعدد تصورات المهتمين به؛ إذ تنوعت المنطلقات نتيجة اختلاف فهم المهتمين على وفق التطور في

ما أنتج في مجال نظريته. تتبع هذه التعاريف من اتجاهين: الاتجاه الألسنى والاتجاه الاجتماعى.

ظهر تحليل الخطاب فى حقل الدراسات المعرفية فى مختلف مجالات العلوم الإنسانية كالأنثروبولوجية، علم الاجتماع، علم النفس الاجتماعى، اللسانيات، السيميائية، الدراسات الأدبية وكل الحقول المعرفية التى تهتم بالدراسة المنهجية للبنى والوظائف فى مسار تكوين الخطاب. (فركلاف، ١٣٨٧ش: ٧) بعبارة أخرى تحليل الخطاب منهج يقوم بدراسة بنى النصوص وخصائصها اللغوية والاجتماعية والثقافية لبيان كيفية نشأة النصوص. فى الاتجاه الفرنسى يتجه هذا التحليل نحو دراسة النصوص المكتوبة فى ظروفها الاجتماعية والسياسية ويستفيد من مناهج كتحليل المحتوى والسردية والسميائية ونقد المعتقدات ويرينا كيف تؤثر علاقات السلطة على العلاقات بين الناس وكيفية نشوء النصوص. (مكاريك، ١٣٨٤ش: ٢٦٠)

تجاوز مفهوم تحليل الخطاب من الاقتصار على دراسة العناصر اللغوية البحتة إلى دراسة الظروف الثقافية والاجتماعية والسياسية التى ينشأ الخطاب فى طياتها. (فركلاف، ١٣٨٧ش: ٧ و ٨) وتطرق إلى دراسة العناصر اللسانية والسيميائية والأسلوبية التى تساعد على تكوين الخطاب. (مك دانل، ١٣٨٠ش: ١٧) فى هذا الإطار تدرس القوالب التى يساق الكلام فيها والعناصر اللغوية التى تستخدمها المؤلف كالمفردات، اختيار الأسماء والعناوين وكيفية سوق المعانى فى الألفاظ واختيار التعابير التى تعكس وجهات النظر العقائدية أو السياسية أو الاجتماعية والثقافية لمؤلف النص التى أثرت على المؤلف فى إخراج نصه بهذه الصورة التى نقرأها. (ياراحمدى، ١٣٨٣ش: ١٤٣ و ١٤٤)

ومن أحدث الاتجاهات فى تحليل الخطاب، التحليل النقدى للخطاب الذى يرتبط بدراسة الأدب عبر تحليل النصوص الأدبية والأسلوبية والنقد الأدبى. لأن النصوص الأدبية تخدم الاتصال كسائر النصوص ولهذا يمكن دراستها من المنظار النقدى. إن مستخدمى هذا الاتجاه يرون أن فهم النص وتحليله موقوف على السياق الفلسفى والتاريخى والسياسى والاجتماعى والعقائدى والخطاب لأن الارتباط بين الناس

والمجتمع ليس عشوائيا بل تكونه السلطات الاجتماعية والعوامل المكونة للخطاب.
(آفاگل زاده، ١٣٨٦ش: ١٧)

التحليل النقدي للخطاب طور تحليل الخطاب من مستوى وصف النصوص إلى مستوى تبيينها والاهتمام بسياق المجتمع والتاريخ والأيدئولوجيا. (آفاگل زاده، ١٣٨٦ش: ١٨) فيدرس اللغة كمارسة اجتماعية في الصلة بالأيدئولوجيا والمجتمع والتاريخ والسلطة في مستوى النصوص ويضرب بجذوره إلى ما بعد الحداثية وخاصة آراء فوكو. يعتقد هذا الاتجاه أن السلطات السياسية والثقافية والاجتماعية يصنعون الخطاب طوال الزمن ويحاولون تطبيع خطابهم حتى يقبله الناس طوعا ويخيل إليهم أن اختيار هذا الخطاب وقبوله تم على أساس إرادة الناس. فالخطاب بإمكانه أن يكون الثقافة والأيدئولوجيا في المجتمع. (آفاگل زاده، ١٣٨٥ش: نه)

والفرضية الأساسية في هذا الاتجاه أن الصلة بين صورة الخطاب ومحتواه ليس طبيعيا بل تكونه السلطات السياسية والثقافية والاجتماعية، فتحليل الخطاب من منظار اللسانيات النقدية تحليل النصوص المخصصة بالمعاني الأيدئولوجية. (آفاگل زاده، ١٣٨٥ش: ١٢٣) فاللغة والسلطة والأيدئولوجيا من المفاهيم الرئيسة في تحليل الخطاب النقدي. (آفاگل زاده، ١٣٨٦: ٢٠)

رسالة الصاهل والشاحج

رسالة الصاهل والشاحج رسالة ضخمة تزيد على ستمائة صفحة وهي من الرسائل القيمة لأبي العلاء المعري التي ألفها حوالى سنة ٤١١ أو ٤١٢ق. لقد كان من شأن الرسائل الأدبية في تلك الفترة أن يتناولها طلاب المعرفة والمشاهير من الأدباء بالدرس والنقد، فقد حرص أصحاب الرسائل دائما على دلالة هذه الرسائل على مكانتهم وثقافتهم وتفوقهم. عرف أبو العلاء أن الرسائل الأدبية سبيل إلى معرفة القدر وإثبات المكانة العلمية المرموقة وتدفعه بين الحين والحين رغبته في تقديم أكبر قدر من الفائدة لتلامذته وطلاب المعرفة لديه أن يتطرق إلى العديد من المسائل الفرعية والقضايا الجانبية التي كثيرا ما تقطع السياق وتنال من النائم الأفكار وانسجامها ويميل إلى الدعابة تجنبا

ملل القارئ ويستخدم إطار القصة لتقديم أفكاره ومعلوماته. (رزق، ٢٠٠٦م: ١٣٥-١٣٣) وهي وثيقة هامة تدل على العلاقات السياسية بين حلب ومصر والروم من جهة وموسوعة أدبية، لغوية ونقدية حافلة بالنكت العروضية والنوادر الأدبية. كتب أبو العلاء هذه الرسالة قبل رسالة الغفران حوالى خمس عشرة سنة وتتجلى فى الرسائلين روح السخرية المرة والدعابة اللاذعة التى لا يسلم منها أمير حلب وتعبر عن الموقف الذى اتخذته الكاتب من أوضاع المجتمع. ليست هذه الرسالة كتاب تاريخ بالمصطلح التقليدى لكنها تقدم تفسيراً تاريخياً لأحداث البيئـة والعصر وتضى لنا تلك الفترة وتضيف إلى ما اقتصر عليه المؤرخون من سرد الأحداث السياسية وتعرض عرضاً حافلاً مثيراً لما يتصل بالمجتمع من الظروف الاجتماعية السائدة والطبقات الاجتماعية والصناعات والحرف والمتاجر... وأبو العلاء فى تأريخه يأتى بالشخصيات التاريخية مع ما تتصف به من أسماء وألقاب ويسجل الأحداث وما يقع فيها من الزمان والمكان لكنه يحكى ذلك كله على السنة البهائم. (المعرى، ١٩٨٤م: ٣٠ و ٣١ و ٤٢)

خلاصة قصة الصاهل والشاحج

يظهر أبو العلاء على المسرح ليمهد بتحية موجهة إلى السيد عزيز الدولة وتاج الملة أمير الأمراء والاعتذار عن مكاتبته فى شكوى بنى أخيه المتعلقة بأرض لهم يقال إن عليها ما لا ينبغى أداؤها إلى بيت المال ولهذا الصدد يصف أبو العلاء عن عناء البغل فى هذا الأرض بسبب قحلها وينحسب بلطف حتى يتحدث عن لسان البغل ويبدأ الحوار بقدرة الله بين الصاهل والشاحج. وعندما يسمع الشاحج أن خاله "الصاهل" فى طريقه من مصر إلى حلب، طلب منه أن يحمل مظلمة شعرية إلى حضرة الحاكم السيد عزيز الدولة وتاج الملة ولكن الصاهل لا يجب هذه الخؤولة ويسخر منه فينساق الجدل إلى الخصومة فيقترح الصاهل أن يحتكما إلى الفاخنة ويرفض الشاحج تحكيم الفاخنة وهى المشهورة بالكذب ويقترح أن يحتكما إلى بغير يدعى أبوأيوب. فتسمع الفاخنة كلام البغل وتسرع إلى البعير وتحكى له القصة وتلفق الأكاذيب فى حديث البغل فيغضب البعير ويهاجم البغل وبعد انكشاف الحقيقة يتعذر إلى البغل ويقبل أن يوصل

مظلمته الشعرية إلى الحضرة العالية لكنه لا يفهم كلام البغل لما فيه من الألفاظ اللغوية والنحوية... فيدخل الثعلب في القصة والحوار بينه وبين الشاحج ينتهي إلى الصداقة بينهما فيطلب الشاحج منه أن يتجول في المدينة ويأتي له بأخبار الحلب وأحوال أهلها في جفلة الخوف من غزو الروم فينقل الثعلب ما يتصل بالسياسة والمجتمع والبلاط وفي نهاية هذه الجولات والنشرات الإخبارية يتدخل أبو العلاء ويلقى بتحية الختام إلى والي حلب السيد عزيز الدولة وتاج الملة. (م.ن: ٤٠ و ٤١)

قبل العثور على نص هذه الرسالة كان الظن السائد أنها محاكاة لكتاب "كليلة ودمنة" لكنها تختلف اختلافا جوهريا في عدة نقاط: قصص كليلة ودمنة في رأى الدكتورة عائشة عبدالرحمن بنت الشاطي «تلقى بأسلوب الحكاية في مجلس ملك الهند لاتربط بينها وحدة زمان ومكان كما لايربطها بعالم الإنسان سوى ما تقدمه من عبرة صريحة وموعظة مباشرة ولكن رسالة الصاهل والشاحج ليست مجموعة قصص شتى بل قصة واحدة مترابطة الفصول والمشاهد وهي لاتؤدى بطريقة الحكاية والسمر لسوق العبرة ومضرب المثل، بل صيغ الحوار فيها على طريق التشخيص والإخراج التمثيلي الزاخر بالحركة والحيوية، موضوعها الرئيسي تصوير للذعر السائد على الناس لما كانوا يتوقعون من خروج بسيل ملك الروم لغزو حلب.» (م.ن: ٣٩) وعلى عكس ما في "كليلة ودمنة" حيث يقص الإنسان حكاياته التعليمية على لسان الحيوان ففي رسالة الصاهل والشاحج تتحدث الشخصوس الحيوانية عن العالم الإنسانية.

ظروف نشأة النص

كتب أبو العلاء هذه الرسالة بإلحاح بنى أخيه لرفع مظلمة إلى والي حلب، عزيز الدولة بشأن أرض قاحلة لهم طلب الجباه أخذ الضرائب منها واستغل أبو العلاء هذه الفرصة ليكتب رسالة ضخمة إلى والي ويطلب منه إعفائهم عن هذه الضرائب. (م.ن: ٨٩-٨٤) واستغل أبو العلاء هذه الفرصة وأودع في رسالته موسوعة من معلوماته في إطار محاورات خيالية بين بغل يدعى الشاحج، فرس يدعى الصاهل ويتدخل في الحوار الحماسة تدعى "الفاخته" والجمل يدعى "أبوأيوب" والثعلب يدعى "ثعالة". وكان هذا

الأمير محبا للشعر والشعراء وتسامع الناس أنه يعلم العروض. (م.ن: ٤٣)

الظروف السياسية لحلب وأعمالها في عهد أبي العلاء

كانت أحوال مجتمع الشام وخاصة حلب وأعمالها مضطربة في عهد أبي العلاء والمعرة في تلك الأيام كانت بلدة عامرة تشخص إليها أنظار الطامعين وكانت هدفا للغارات والفتن أرهقت سكانها. كانت الإمارة الحمدانية بين قوتين عظيمتين؛ الروم في الشمال والفاطميين في الجنوب. كانت الروم في الشمال متأهبة للغارة والعدوان والفاطميون في الجنوب طامحين في السيطرة على الشام وانتزاع الحكم من بني حمدان الذين كانوا يضعفون يوما بعد يوم بسبب خلافات داخلية كثيرة بينهم. والحكام الحمدانيون يتطاحنون على الملك ويستنجدون بالروم أو الفاطميين في صراعاتهم الداخلية وفي هذه الظروف المليئة بالحروب والغارات والفتن والدسائس كان الناس يتملكهم الذعر. (المقدسى، ١٩٨٦م: ٣٩) فال الأمر إلى انهيار مُلكم واستيلاء الفاطميين على حلب سنة ٤٠٧ للهجرة حيث عين الحاكم بأمر الله الخليفة الفاطمي، عزيز الدولة حاكما لحلب وأعمالها. (ابن أبي جرادة، ١٤٢٥ق، ج ١: ١٩٠-١٨٨؛ المحاسنى، ١٩٤٧م: ٥٤)

كان فاتك بن عبدالله الرومي أبوشجاع الملقب بعزيز الدولة أرمنى الأصل غلاما لبنجوتكين مولى العزيز صاحب مصر وكان في خدمة الحاكم بأمر الله الخليفة الفاطمي. فولاه حلب وأعمالها ولقبه بأمير الأمراء عزيز الدولة وتاج الملة، فدخل حلب في رمضان ٤٠٧ق. لكن بعد مدة توترت العلاقات بينه وبين الفاطميين ودعا لنفسه وضرب الدنانير والدرهم باسمه. ثم أرسل الحاكم جيشا لإخضاعه سنة ٤١١ق وأرسل عزيز الدولة إلى "بسيل" - ملك الروم - يستنجده فأقبل بسيل يتقدم نحو حلب وكان الناس قد أجفلوا من هجومه على حلب؛ فكانت هذه الجفلة تسمى جفلة عزيز الدولة لأنها وقعت بسببه. لكن قبل وصوله، توفي الحاكم بأمر الله وأخذ ابنه الظاهر بمقاليد الحكم واستبقى عزيز الدولة في مكانته. فكتب عزيز الدولة إلى ملك الروم والغى ما كان بينهما من العهود والشروط وبعد مدة دخل عليه غلام هندي وقتله سنة ٤١٣ وقيل أن الفاطميين كانوا من وراء هذا الاغتيال. (ابن أبي جرادة، ١٤٢٥ق، ج ١: ١٩٣-١٩١؛

الزركلى، ٢٠٠٢م، ج ٥: ١٢٦)

كان عزيز الدولة غير عظيمة الخطر لأنه كان من الحكام الكثيرين الذين تعاقبوا بعد سيف الدولة على حكم حلب وكان كثيرهم يدفعون عن أنفسهم شر الروم بالأموال والمعاهدات التي تثبت ضعفهم واستكانتهم. (الطرابلسي، ١٣٩٤ق: ١٢) فتكونت هذه الرسالة في فترة تاريخية مضطربة من تاريخ حلب حيث عاش الناس حياة القلق والذعر لمدة طويلة.

بنية الرسالة

تنقسم الرسالة إلى ثلاث بُنى رئيسة: أولها تقديم صورة كاملة لأحوال مجتمع حلب في تلك الفترة وما يحدث في قصور السلاطين والأمراء والعلاقات الخارجية بين والى حلب وبسيل ملك الروم وخاصة الذعر السائد على أبناء حلب جراء انتشار خبر قصد ملك الروم لغزو حلب. تتخلل ذلك النصائح السياسية والمشورات الدبلوماسية. الخط الثانى يتمثل فى الثقافة الأدبية واللغوية والثالث يتمثل فى لون الدعاية والمرح يقدم أبو العلاء من خلالها سخريته وتهكمه وأحاجيه وألغازه الأدبية واللغوية. (رزق، ٢٠٠٦م: ١٥٣)

من ناحية أخرى يمكن التمييز بين قسمين رئيسيين:

القسم الأول ديباجة تحية واعتذار إلى والى حلب الذى يخاطبه أبو العلاء "السيد عزيز الدولة وتاج الملة أمير الأمراء" أبى شجاع فاتك وتقديم شكوى لأبناء الأخ. القسم الثانى: المشاهد الخمسة المتمثلة فى الحوار بين الصاهل والشاحج والفاخته والبعير والتعلب على النحو التالى:

المشهد الأول: يدخل فيه الفرس "الصاهل" فى طريقه من مصر إلى حلب على الشاحج "البعل" ويهنته الشاحج ويبادره بالحوار بقدره الله كما يقول أبو العلاء. يطلب منه الشاحج أن يرفع له شكوى منظومة إلى والى حلب ويحاول أن يصادقه ولكن الصاهل يأنف من مصداقة الشاحج ويسخر منه.

المشهد الثانى: تسمع فاخنة كلامهما وتدخل فى القصة وتعكس كلام الشاحج لتفسد

ما بينها وبين البعير، فيهاجم أبوأيوب على الشاحج لينتقم منه، وبعد أن يتبين له كذب الفاختة يعتذر إليه، فيطلب الشاحج منه أن يحمل رسالة نثرية له إلى الحضرة العالية بجلب حافلة بالألغاز والتورية ولكن لا يفهم أبوأيوب هذه الألغاز ويسخر من الشاحج فيأس منه الشاحج.

المشهد الثالث: يجي الثعلب ويدخل عليهم، وبينما هو يتكلم مع الشاحج يسمعان ضجة في حلب، يطلب منه الشاحج أن يتجول في حلب ويأتى بأخبارها في هذه الجولات الإخبارية يتحدث الثعلب عن كثير من أخبار القصر التي كانت تتناقله العامة مثل: جفلة الناس من عزم ملك الروم لغزو حلب، علاقات المودة الخفية بين عزيز الدولة والى حلب وباسيل ملك الروم، الصفقات والمؤامرات السياسية بين عزيز الدولة والى حلب وملك الروم من جهة والظاهر بأمر الله الخليفة الفاطمي من جهة أخرى.

المشهد الرابع: يرجع الثعلب ويتحدث عن أنباء حلب وأهلها.

المشهد الخامس: يرجع الثعلب، يتحدث الشاحج عن أخبار الجالين عن حلب في العودة إلى ديارهم والثعلب يتحدث عن أخبار العدو واستعداده للغزو. (المعري، ١٩٨٤م: ٨٠٨-٨٠٤)

أنواع الخطاب في رسالة الصاهل والشاحج الخطاب اللغوي والأدبي

حاول أبوالعلاء أن يقدم أكبر قدر ممكن من معلوماته في مجال الشعر واللغة لأنه كان واسع الاطلاع على أساليب البلاغ وأسرار البلاغة وعالما جد العلم باللغة محيطا بالغريب والناذر منها وقد قال تلميذه أبو زكريا التبريزي: ما أعرف أن العرب نطقت بكلمة ولم يعرفها أبوالعلاء. (طباخ، ١٤٠٨ق، ج ٤: ١٤٠ و ١٤١) ولهذا نرى أنه أودع رسائله كثيرا من معلوماته خاصة في مجال غريب اللغة وشعر العرب. تراث أبي العلاء يتسم بالثقافة الموسوعية بالنسبة لمعارف الإنسان على أيامه. فالعلم قد ملك حياته واعتمد على نفسه في التحصيل العلمي أكثر مما اعتمد على الشيوخ والأساتذة. (خريباتي، ١٩٩٠م: ١٧) من جانب آخر الغريب والسجع يلزمان نثر أبي العلاء. عقد أبوالعلاء نثره تعقيدا

شديدا «أتاحه له فراغه الطويل الذى أمضاه فى عزلته عن الناس وربما كان لضيقه بالحياة وبرمه بها أثر فى هذا التعقيد؛ فقد انقلب هذا الضيق من حياته إلى فنه... وأيضاً فإن فقدته لبصره وإحساسه العميق بهذا الجانب جعله يطلب التفوق على معاصريه وقد ذهب يحاول هذا التفوق عن طريق تعقيد فنه تعقيداً لم يكن يستطيعه إلا صانع ماهر.» (ضيف، ١٩٩٥م: ٢٦٩) وأصبح يقصد به إلى إحداث طرائف لغوية لا تعتمد على زخرف ولا على تنميق بل تعتمد على الإبهام والغموض والإغراب. (م.ن: ٢٧٢)

لقد حكّم قانونه الفلسفى الصارم فى نثره كما حكّمه فى شعره وحياته، فالتزم فى الكتابة ما لا يلزم من إثارة الغريب وتصريف اصطلاحات العلم فى التعبير عن العواطف فىؤدى كثيراً من الأغراض بتلك الضروب العروضية. ومن أظهر خصال أبي العلاء فى نثره فى طور العزلة حرصه على الإستقصاء التام بحيث إذا عرض لمسألة لغوية أو نحوية لا يتركها إلا بعد استقصائها. (حسين، ١٩٨٢م: ٢١٨ و ٢١٩) يقول الأستاذ أمين الخولى «اتخذ أبو العلاء ذخيره اللغوية وثقافته الأدبية وسيلة للتعبير الدقيق عن خواطر نفسية وتأملات فنية وخلجات داخلية كانت تزخر بها نفسه ويحيش بها صدره.» (قبيبي، ١٤٢٦ق: ٢٣)

لكنه لم يعتمد إيراد الغريب ليستر تحته ما يريد من غمز أو تهكم أو سخرية لأنه كان يجاهر بمعتقداته وينتقد الحكومات والعادات والأخلاق ويعترض على الشرائع والمذاهب والنحل بأشد ما لديه من النقد اللاذع الصريح ولم يعمد إلى تقية ولا مواربة ولم يعتمد إخفاء شئ منها تحت كلمة حوشية أو لفظة غريبة. (الجندي، ١٩٨٦م: ١٢٣ و ١٢٤) على سبيل المثال يبدأ أبو العلاء رسالته هكذا: «أسلم على الحضرة العالية تسليم العاجز المقصر كما ينظر الهادى المدجج إلى فرقد الليل واليمانى المشيم إلى سهيل وأصحاب الراح يتعودون من مَعْنٍ إذا ارتجل شُتِمَ وإذا سكت صِينَ وأكرمَ وأنا أُمْتُ بحق التخفيف... ولو كنت بالغا فى الأدب أطورَى لكنتُ فى تلك الحضرة كالكطرة تحت الصبير والحصاة إلى جانب ثبير فما بالى وأنا مُثَقَلٌ استعان بِدَقْنٍ وطفلٌ بهَشَ إلى يَفَنٍ وذليلٌ عاذ بِقَرْمَلَةٍ وعبدٌ هتَفَ بِأَمَةٍ...» (المعري، ١٩٨٤م: ٨١)

من منظور التحليل النقدي للخطاب، نرى أن السلطة وراء اللغة وكيفية استخدامها؛

لأن السلطة السياسية أو الثقافية أو الاجتماعية تفرض لغتها على المجتمع. (خوراسگانی وخوش آمدی، ١٣٩٠ش: ١٣٣) فاختار أبو العلاء التعقيد في لغته والسجع والغريب لأن السلطة الثقافية في عصره تتطلب هذا الاستخدام وكما يشير فيركلاف إلى أن الخطاب يصنع الثقافة والثقافة بدورها تصنع الخطاب، أسلوب أبي العلاء بدوره يساعد على تقوية هذا النوع من الخطاب الأدبي.

استخدم أبو العلاء الأحاجي اللغوية بصورة واسعة طيات هذه الرسالة. على سبيل المثال، من طرائف هذه الأحاجي ما استخدمها في وصف مغبة جيش الروم في حالة غزوهم لحلب مستعينا بعلم العروض: «لو نزل خميسهم بحيث يظن المرجفون، وهو وافر كامل لرأيت الطويل العاتر مديدا فيهم والخفيف المقبوض بسيطا إليهم فكثرت المتقارب عند ذلك بينهم وسمعوا الهزج والرجز فعجزوا عن الرمل والمضارع له في تلك الساعة وكان السريع والمنسرح عندهم محمودين وظل جيشهم مجتئا وعميدهم مقتضبا... وهذه الألفاظ ألغزتها عن أجناس الشعر التي رتبتها الخليل فأردت بالطويل الرمح وبالمديد الرمح إذا مدَّ إليهم ... وعنيت بالخفيف السيف؛ لأن السيوف يقال لها البيض الخفاف وأوهمتُ أنى أريد الخفيف من الشعر وأردت بالمقبوض الذى قبضة الكف على قائمه وأوهمتُ أنى أريد المقبوض الأجزاء ... عنيتُ بالبسيط المبسوط للضرب ... وعنيتُ بالرجز ارتجاز القوم في الحرب ...» (المعري، ١٩٨٤م: ٥٤٩-٥٤٧)

الخطاب السياسى

لم يكن أبو العلاء بمعزل عن الأحداث السياسية. (المحاسنى، ١٩٤٧م: ٦٦) وكان له شفاعات إلى أولياء السلطان في أناس كانوا يتشفعون به ولكنه كان يجعل حظ الإنشاء والافتنان اللفظى في تلك الشفاعات أكثر من الحظ الذى توصل به ورغب إليه كما توصل أبناء بلده لكى يكون سفيرهم عند صالح بن مرداس عندما حاصر معرة النعمان وقبل أبو العلاء هذه السفارة مُكرها لتضرع قومه إليه ورقة قلبه لهم. فأحسن السفارة واستطاع أن ينحى معرة النعمان وأهلها من الدمار والهلاك؛ حيث قال له صالح بن مرداس بعد أن سمع شفاعته: قد وهبتها لك يريد المعرة. (حسين، ١٩٨٢م: ١٦٤-١٦٠)

يروى لنا أبو العلاء الأخبار المختلفة التي تتناقلها الأفواه وهذا يدل على اطلاعه الواسع على مستجدات العصر وأهم الأحداث في بيئته. مثلا خروج قوم من الخزر لمهاجمة الروم؛ «وقد تحدثت العوامّ بأن قوما متطوعين غزوا من ناحية الخزر. فإن كان هذا صحيحا فإنه يلفت الطاغية عن هذه الجهة ويفكّ عزمه عن الخروج. فيكون مثله مثل الضرب الأول من الطويل أو غيره من الأوزان إذا أرادو الفكّ منه صرفوا وجهه عما هو عليه... فكذاك الطاغية فكّ أي صُرفَ وجهه إن شاء الله وتوجّه إلى ما وراءه.» (المعري، ١٩٨٤م: ٦٨٣ و ٦٨٤)

وفي موضع آخر يتحدث عن خروج أحد قادة عسكر ملك الروم عن طاعته: «وقد زعم بعض المخبرين أن رجلا من ولد "الفقّاس" انصرف من عسكر هذا الرجل فقلّ من عزمه وفكّ في عضده وإن كان ذلك على ما ذكروه فإن العلة إذا حلت في الأبنية المجانسة له ألا ترى أن الواو في "يغزو" عليلة وأن علتها سرت في غزا وغازٍ ومُسْتَغْزٍ وُغْزَاةٍ وغازين...» (م.ن: ٦٨٤ و ٦٨٥)

كيفية تسمية أمير حلب وملك الروم

مما يلفت النظر أن أبا العلاء كلما يريد أن يتحدث عن والي حلب، يسميه بلقبه ويدعو له: السيد عزيز الدولة أعزّ الله نصره وبعض الأحيان يطيل في ألقابه ويقول عزيز الدولة وتاج الملة وكلما يريد أن يتحدث عن بسيل ملك الروم طوال الرسالة يسميه باسم واحد وهو الطاغية وفي كثير من الأحيان لا يصرح باسمه ويشير إليه بالضمير. كما أشرنا آنفا السلطة من أهم مكونات الخطاب. (آقاگل زاده، ١٣٨٥ش: ١٥٩) فنرى أبا العلاء يذكر والي حلب بألقابه وبعض الأحيان يطيل في ذكر الألقاب لأنه يمثل السلطة السياسية في فترة كتابة هذه الرسالة لكنه يقتصر في تسمية ملك الروم وكثيرا ما لا يصرح باسمه ويشير إليه مستخدما الضمير أو يذكره بلقب يحمل معنى سلبى.

العلاقات بين عزيز الدولة وبسيل

يتحدث أبو العلاء عن العلاقات الودية بين عزيز الدولة والي حلب وبسيل ملك الروم: «مثل السيد عزيز الدولة وتاج الملة أمير الأمراء أعزّ الله نصره ومثل زعيم الروم

مَثَلِ بَازِيَيْنَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فِرْقٌ مِنَ الطَّيْرِ تَحْمِلُ إِلَيْهِ الْإِثَاوَةَ وَقَدْ تَعَاقَدَ الْبَازِيَانِ الْأَ
يَعْرُضُ وَاحِدٌ مِنْهُمَا لِمَا فِي حَيْزِ الْآخَرِ مِنَ الْحَشَاشِ.» (المعري، ١٩٨٤م: ٤١٥)

فِي مَوْضِعٍ آخَرَ يَشِيرُ إِلَى هَدِيَّةٍ قِيَمَةً أَرْسَلَهَا عَزِيزُ الدَّوْلَةِ إِلَى بَسِيْلٍ حَقْنًا لِدِمَاءِ
النَّاسِ وَيَشْبِهُهَا بِنَكْتَةِ نَحْوِيَّةٍ: «وَقَدْ حَمَلَ السَّيِّدُ عَزِيزُ الدَّوْلَةِ - خَلَّدَ اللهُ مُلْكَهُ - مَا فِيهِ
مِنَ الْكَرَمِ وَالرَّافَةِ بِالرَّعِيَّةِ وَالرَّغْبَةِ فِي حَقْنِ الدِّمَاءِ، عَلَيَّ أَنْ يَبْعَثَ هَدِيَّةً سَنِيَّةً أَشْبَهَتْ
شَرَفَ قَدْرِهِ وَعِزُّوفَ نَفْسِهِ وَالهَدِيَّةُ مِثْلُهَا مِثْلُ "مَا" الَّتِي تَكْفُ الْعَامِلَ عَنِ الْعَمَلِ؛ أَلَا تَرَى
أَنَّ إِنْ وَأَخَوَاتِهَا تَكْفَهُنَّ "مَا" عَنِ النَّصَبِ؟» (م.ن: ٤٢٠)

وَفِي مَكَانٍ آخَرَ يَتَحَدَّثُ عَنِ سَبَبِ تَوَتَّرِ الْعِلَاقَاتِ بَيْنَ وَالِيِ حَلْبٍ وَمَلِكِ الرُّومِ:
«وَتَحَدَّثْتُ الْعَامَّةَ أَنَّ سَبَبَ الْفَسَادِ بَيْنَ "السَّيِّدِ عَزِيزِ الدَّوْلَةِ" أَعَزَّ اللهُ نَصْرَهُ وَبَيْنَ الطَّاعِيَةِ
أَنَّهُ سَامَهُ أَنْ يَجْتَمِعَ مَعَهُ وَالْمِثْلُ السَّائِرُ: وَهَلْ يَجْتَمِعُ السِّيْفَانُ وَيَحْكُ فِي غَمْدٍ؟ وَكَيْفَ يَطْمَعُ
مِثْلُهُ فِي هَذِهِ الْمَنْزَلَةِ؟ وَإِنَّمَا قِيلَ إِنَّهُ جَعَلَ لِلسَّيِّدِ "عَزِيزِ الدَّوْلَةِ" أَعَزَّ اللهُ نَصْرَهُ الْعُشْرَ فِي
مَمْلَكَتِهِ... وَبِالْعُشْرِ الَّذِي لَمْ يَعْضُ مِنَ الْمَمْلَكَةِ أَرَدَتْ أَنْ تَسْتَحُوذَ عَلَى مَوَدَّةِ السَّيِّدِ عَزِيزِ
الدَّوْلَةِ - أَعَزَّ اللهُ نَصْرَهُ - وَلَعَلَّهُ إِنْ شَاءَ اللهُ إِنْ حَارَبَ أَخَذَ الْحُمْسَ بِحَقِّ الْغَنِيْمَةِ... وَلَوْ
أَنَّ هَذَا الرَّجُلَ شَطَّرَ مُلْكَهُ لِلسَّيِّدِ عَزِيزِ الدَّوْلَةِ - أَعَزَّ اللهُ نَصْرَهُ - لَمْ يُجِبْهُ إِلَى مَا سَأَلَ، إِلَّا
أَنَّ يَرَى ذَلِكَ صِلَاحًا لِلْمُسْلِمِينَ.» (م.ن: ٦٨٨-٦٨٥)

نَرَى دَوْرَ السَّلْطَنَةِ وَالْأَيْدِيُولُوجِيَا فِي لُغَةِ أَبِي الْعَلَاءِ وَخَطَابِهِ؛ فَعِنْدَمَا يَتَحَدَّثُ عَنِ
العِلَاقَاتِ الْوَدِيَّةِ بَيْنَ وَالِيِ حَلْبٍ وَمَلِكِ الرُّومِ يَبْرُرُ انْعِقَادَ مِثْلِ هَذِهِ الْعِلَاقَاتِ وَيَشْبِهُهُمَا
بِالْبَازِيَيْنِ وَعِنْدَمَا يَتَحَدَّثُ عَنِ سَبَبِ تَوَتَّرِ الْعِلَاقَاتِ يَنْحَازُ إِلَى جَانِبِ عَزِيزِ الدَّوْلَةِ
وَيَسْتَفِيدُ مِنْ مِثْلِ سَائِرِ مَعْرُوفٍ حَوْلَ عَدَمِ إِمْكَانِ اجْتِمَاعِ سَيِّفَيْنِ فِي غَمْدٍ وَاحِدٍ وَيُعَيِّبُ
مَلِكَ الرُّومِ بِأَنَّهُ يَقْصِدُ مَوَدَّةَ عَزِيزِ الدَّوْلَةِ وَلَا يَدْفَعُ لَهُ مَا يَسْتَحِقُّهُ فَيَصُورُ أَبُو الْعَلَاءِ عَزِيزِ
الدَّوْلَةِ كَخَيْرِ النَّاسِ وَعَلَى حَقِّ دَائِمًا وَكُلِّ أَعْمَالِهِ لَهُ مَبْرَرٌ لِأَنَّهُ وَالِيِ حَلْبٍ لِأَنَّهُ مُسْلِمٌ
وَيَصُورُ مَلِكَ الرُّومِ كَشَرِّ النَّاسِ وَكُلِّ أَعْمَالِهِ قَبِيْحَةٌ لِأَنَّهُ مَلِكُ الرُّومِ وَليْسَ مُسْلِمًا.

مساوئ ملك الروم

كان أبو العلاء عفيفًا في حياته وكلامه وأدبه، ولهذا لانرى قبيحا في شعره أو نثره.

وعندما يتحدث عن المساوئ الأخلاقية لسبيل ملك الروم لا يذكرها بصراحة بل يكتفي عنها بأشعار لامرئ القيس والفرزدق ليس فيها قبيحا من الكلام: «وحدّث بعض الواردين من حضرة هذا الرجل بأشياء يُكنى عنها ولكنّا نجعل البدل من ذكرها إنشاد أبيات لمرئ القيس وأبيات للفرزدق... وأفحش في أبيات لأذكرها...» (م.ن: ٥٦٦-٥٦٤)

يصف ملك الروم بالغدر والمكر والفسق والفجور والمرض والشيخوخة «وزعيم الروم قد ألف الغدر ونشأ عليه ...

والشيخ لا يترك عاداته حتى يُوارى في ثرى رَسه...

... وإنما قلت ذلك لأنه خرج إلى هذه البلاد مرتين وهو فيما يزعم سلم للحمدانية... فكان مثله مثل "عمرو بن هند" والطائيين؛ كان بينه وبينهم عهد، فغزا عمرو في جيش فأخفق، فلما مرّ بقوم من الطيئ يسكنون السهل فأخذهم.» (م.ن: ٥٥٥ و ٥٥٦)

«وقد حدّث بعض من ورد من حضرة هذا الرجل... أنه يعرض له صُداع شديد وأنه يداوى منه بالكَيّ، ففي رأسه مسامير كثيرة والمثل السائر: آخر الدواء الكَيّ وبعضهم يقول: آخر الداء الكَيّ... وما خير شيخ قد كوى رأسه ذات المار؟» (م.ن: ٥٦٠)

من ميزات أسلوب أبي العلاء في هذه الرسالة أنه يأتي بمثل من شعر العرب أو شعرائهم أو مشاهيرهم لكل قضية مثلا عندما يتحدث عن ولد غير شرعي لزعيم الروم، أوصى به الملك بعده إن مات أخوه الشرعي قبله: «أن هذا الرجل له ولد من امرأة ليست تحلُّ لثله على رأى أصحاب الشرائع وقد جعل له رتبة ورأيه إن مات أخوه قبله أن يُقرَّ بنسبه ويجعل الملك إليه مثله في هذا مثل معاوية وزيايد بن أبيه.» (م.ن: ٥٧٢)

نرى أن السلطة السياسية في حلب التي تتمثل في عزيز الدولة جعلت أبا العلاء يتحايز نحوه كأمر للمسلمين ويشوه صورة بسيل ملك الروم كأمر للكفار في رأيهم. والعلاقات السياسية السرية بينهما جعلت أبا العلاء يعكسها في رسالته ونرى دور الأيديولوجيا في إخراج الرسالة بهذه الصورة لأن أبا العلاء يبرر تصويره الإيجابي لأمر حلب وتصويره السلبي لملك الروم بدافع الدين فأمر المسلمين رمز للحق لأنه مسلم وملك الروم رمز للباطل لأنه كافر. فلايديولوجيا استخدمت في خدمة السلطة

كما رأى التحليل النقدي للخطاب، كما يؤكد فيركلاف على أن الأيديولوجيا هي المعنى في خدمة السلطة وتساعد على إنتاج وتغيير روابط السلطة. (يورگنسن وفيليبس، ١٣٩٣ش: ١٣٠)

وكثيرا ما تحدث أبوالعلاء عن مساوئ ملك الروم لكنه يشبهها بالقضايا النحوية والنكت العروضية؛ مثلا عندما يتحدث عنه وأخيه قسطنطين، يشبهانها بالبحور العروضية «وَحَدَّثَ رَجُلٌ فِي جِلَّةِ الْفُؤَادِ يُعْرَفُ بِوَصِيفِ الثَّغْرِ كَانَ يَسْتَصْحَبُ فِي بَعْضِ الزَّمَانِ "بِكُجُورٍ" أَنَّهُ شَاهِدُ هَذَيْنِ الْأَخْوَيْنِ بِأَنْطَاكِيَّةٍ... فِي سَنَةِ نَيْفٍ وَسَتَيْنِ... وَأَنَّ "قِسْطَنْطِينَ" كَانَ أَجْسَمَ مِنْ "بَسِيلٍ" وَأَحْسَنَ بَشَرًا وَأَنَّ الظَّانَ كَانَ يَظُنُّهَا الْأَكْبَرَ وَيَظُنُّ "بَسِيلًا" أَصْغَرَ. فَمَثَلُهُمَا فِي ذَلِكَ مَثَلُ الْهَزْجِ وَالرَّجْزِ وَهُمَا أَخْوَانٌ وَمَوْلِدُ الْهَزْجِ فِي الدَّائِرَةِ قَبْلَ مَوْلِدِ الرَّجْزِ وَالْهَزْجُ أَصْغَرُ مِنْهُ فِي السَّمْعِ لِأَنَّ مُسْتَعْمَلَهُ رَبَاعِيٌّ وَالرَّجْزُ قَدْ اسْتَعْمَلَ مِنْهُ السُّدَّاسِيُّ». (المعري، ١٩٨٤م: ٦٠٧)

في موضع آخر يتحدث على لسان الثعلب عن تأهب الروم لغزو حلب وينتقد أخلاق ملك الروم ويشبهه باللصوص: «إِنِّي سَمِعْتُ أَخْبَارَ زَعِيمِ الرُّومِ فَوَجَدْتُهَا مُخْتَلِفَةً، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ نَهَدَ عَنِ كُرْسِيِّ مُلْكِهِ وَقَرَّبَ مِنْ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ وَهُوَ فِي ذَلِكَ يُخْفِي أَخْبَارَهُ وَيَضْبِطُ الْمَسَالِكَ وَيَقْطَعُ السُّبُلَ وَليست هذه أفعال الملوك إنما هي أفعال المتلصّصين والخُرَّابِ...» (م.ن: ٦٤٣)

وينقل كلامه حول استرداد الشام ويسخر منه: «وقد حكى عنه بعض الحاكين أنه يقول أريد أن اخرج فاستردّ ما أخذه المسلمون من أرض الروم... هيهات هيهات إن الشعر المجزوء وهو الذي ذهب منه جزءان لا يرجع إليه أبدا ما ذهب منه.» (م.ن: ٦٨٩ و ٦٨٨)

إقامة الصلة بين الخطاب الأدبي-اللغوي والخطاب السياسي

يحرص أبوالعلاء على أن يشبه الأحداث التاريخية أو قضايا سياسية أو أوصاف الناس سواء من الملوك والكبار أو من العوام بقضايا عروضية أو نحوية أو لغوية؛ على سبيل المثال عندما يقارن بين فرسان العرب والروم يقول: «وفرسان العرب إذا اجتمع

بعضهم إلى بعض عظم بلاؤهم وإن تفرقوا فالفرقة لا تضرهم في مجال الحيل وفرسان الروم ليسوا كذلك، لأنهم يَتَكْتَبُونَ كَتَائِبَ وَيَجْتَمِعُونَ كَرَادِيْسَ فإذا افترقوا في المعترك فذلك بَوَارُهُمْ لِمَحَالَّةِ، فَمَثَلُ فُرْسَانَ الْعَرَبِ مَثَلُ الْأَبْيَاتِ الَّتِي يَسْتَعْنِي كُلُّ بَيْتٍ مِنْهَا بِنَفْسِهِ فَإِنْ اجْتَمَعَتْ عَظُمَتِ الْفَائِدَةُ وَإِنْ افْتَرَقَتْ فَكُلُّ بَيْتٍ مِنْهَا لَهُ غَنَاءٌ... وَمَثَلُ فُرْسَانَ الرُّومِ مَثَلُ أَبْيَاتٍ يَتَّصِلُ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ فَإِنْ افْتَرَقَتْ ذَهَبَتْ مِنْهَا الْفَائِدَةُ.» (م.ن: ٦٩٧ و ٦٩٨)

يتحدث عن سياسة الملوك بالنسبة للرعية ويُشبههم بمجالات الأفعال: «والمملوك بعد ينقسمون كأنقسام الأفعال فمنهم من يشبه فعله الفعل المتعدى إلى مفعولين ولا يجوز الأقتصار على أحدهما مثل ظننتُ وخلصتُ وبأيهما وذلك من المملوك من يعمل فعله في رعيته ولا يكون له بُدٌّ من محاربة عدوه ومنهم كالفعل الذي يتعدى إلى مفعولين ويجوز الأقتصار على أحدهما دون الآخر مثل أعطيتُ وكَسَوْتُ وذلك الذي يعمل فعله في رعيته فيكون له عدو مرةً يُحَارِبُهُ وَمَرَّةً يُسَالِمُهُ وأما الفعل الذي يتعدى إلى مفعول واحد فمثله كثير من الملوك والعامّة والولاءة فملك يعمل فعله في رعيته فقط... ووالٍ ينفذ فعله في أهل ولايته ... والوحيد من بني آدم مثله مَثَلُ الْفِعْلِ الَّذِي لَا يَتَّعَدِي إِلَى مَفْعُولٍ مِثْلَ قَامَ وَقَعَدَ وَإِنَّمَا هُوَ مَقْصُورٌ عَلَى فَاعِلِهِ لَا غَيْرَ... فِي الْمَلُوكِ مِنْ يَكُونُ فِعْلُهُ كَالْفِعْلِ الْمَتَّعَدِي إِلَى مَفْعُولَيْنِ ثُمَّ يُلْغَى بَعْدَ ذَلِكَ... فَذَلِكَ مَثَلُ الْمَلِكِ الَّذِي زَالَتْ مَمْلَكَتُهُ.» (م.ن: ٤٢٥-٤٢٣)

ويستعين بقضايا نحوية ويشبه أفعال والى حلب بالأفعال المتعدية قائلا: «وأفعال السيد عزيز الدولة وتاج الملة أمير الأمراء أعز الله نصره مثل الأفعال المتعدية إلى ثلاثة مفعولين ففعله - خلد الله ملكه - يرفع نفسه ... ومفعولاته الثلاثة الأول منه الرعية والثاني العرب والثالث الروم وهو بتدبيره وسياسته يعمل فيمن بعد منه فمثله مثل إن وأخواتها تتخطى ما بينها وبين معمولها من المعترضات حتى تعمل فيه ... هو أعز الله نصره وإن كان مقيما في حلب حرسها الله يؤثر فعله وسياسته فيمن وراء الدروب وإن فصل بينهما أعلام وسهوب وزعمت العامة بجهلها أن رسالته إلى زعيم الروم أمسك عن جوابها لإمر لا يُعْلَمُ فَهَلْ شَعَرُوا أَنَّ مَثَلُ رِسَالَتِهِ مَثَلُ وَاوِ الْقَسَمِ يَجِيءُ جَوَابَهَا بَعْدَ

المهلة المتراخية وإن ظنَّ السامع أن الكلام قد انفصل بعضه من بعض ... وقد حمل السيد عزيز الدولة خلد الله ملكه ما فيه من الكرم والرأفة بالرعية والرغبة في حقن الدماء على أن بعث هدية سننية أشبَهَتْ شَرَفَ قدره وعزوف نفسه والهدية مَثَلُهَا مَثَلُ ما التي تكف العامل عن العمل ... ومَثَلُ حلب حرسها الله مَثَل عند ومثل السيد عزيز الدولة خَلَدَ الله مُلْكَهُ مَثَل من ولايجوز أن يدخل على عند شئ من الحروف العوامل غير من... ومَثَلُ السيد عزيز الدولة أعز الله نصره مَثَلُ الفعلين؛ الأول والثاني يجتمعان على طلب العمل في الإسم فيكون العمل والقوة في الثاني لأنه أقرب وعلى ذلك ورد كلام العرب ...» (م.ن: ٤٢٣-٤١٨)

نرى أبا العلاء يقيم الصلة بين الخطاب السياسي والاجتماعي والخطاب الأدبي ويشبه القضايا السياسية والاجتماعية والعسكرية بموضوعات لغوية وصرفية ونحوية وعروضية. بإمكاننا أن نربط هذه الظاهرة بالسلطة الثقافية السائدة في عصر أبي العلاء التي كانت تولى الشعر والأدب عناية بالغة. كما يؤكد التحليل النقدي للخطاب أن السلطة كامنة وراء اللغة وكيفية استخدام اللغة للمرجعيات الثقافية وذوى المكانة الاجتماعية تشكل معيارا في المجتمع. (خوراسگانی وخوش آمدی، ١٣٩٠ش: ١٣٣) كان الشعر والأدب والمعلومات اللغوية والعروضية في عصر أبي العلاء موضع اهتمام الملوك والسلاطين والناس وكان الشعراء والأدباء يحظون باحترامهم وعنايتهم فهذه الظاهرة دفعت أبي العلاء على إقامة الصلة بين وصفه لأحداث بيئته والشعر والأدب.

خطاب الدعاية

الحرب النفسية بين الروم والمسلمين

يخصص أبو العلاء جزءا من رسالته بالحرب النفسية بين ملك الروم "بسيل" وبين المسلمين خاصة سكان حلب وواليها. بإمكاننا أن نقسم هذه الحرب إلى قسمين؛ القسم الأول هو الإشاعات التي كانت تتناقلها أفواه العامة حول مزاعم بسيل ملك الروم وتهديداته بالنسبة إلى غزو حلب والقسم الثاني، الاقتراحات التي كان يقدمها أبو العلاء لرفع معنويات المسلمين وتشجيعهم وتهدئة قلوب العامة الوجلين من غزو الروم. على

سبيل المثال يتحدث أبو العلاء عن قدرة والى حلب في ردع العدو ويطمئن قارئه بأن الروم منهزم للاحالة ويستعين بالتشبيه بالقضايا النحوية: «وأهل ملته يزعمون أنه لو خرج لم ينصرف، وكذبوا، لو خرج لَصَغَّرَهُ السيد "عزيز الدولة" -أعز الله نصره- فانصرف وإنما عَنَيْتُ صَغَّرَهُ من الصَّغَارِ. ألا ترى أن "عُمَرَ" و"قُتْمَ" و"زُفْرَ" إذا صُغِّرْنَ انصرفن... فهذا حكم في انصراف الطاغية.» (المعري، ١٩٨٤م: ٤٨٩)

في موضع آخر يطلعنا أبو العلاء على أن عزيز الدولة أمر بمجئ والدته إلى حلب لطمئنة الناس وإخبارهم بأن لاداعى للقلق: «وقد حمل "السيد عزيز الدولة" -أعز الله نصره- رغبته في إيناس الرعية ورأفته بمن ولى من العامة أن كلف "أسد الدولة" -أدام الله تمكينه- أن يحمل إلى حلب -حرسها الله- والدته "الرباب" إيثارا لسكون الأنفس و إعلاما للسواد الأعظم بالتثام الكلمة والتضافر على صدّ الأعداء.» (م.ن: ٥٢٠)

في كثير من الأحيان يحاول أبو العلاء أن يقدم إجابات شافية إلى المتشائمين ومنتقدي عزيز الدولة. مثلا يفند أبو العلاء أقوال الذين يطعنون حاكم حلب بسبب قلة جنوده ويخوفون الناس ويشبه حاله بالضمير: «والمرجفون بزعيم الروم يزعمون أنه كاسم الفاعل يعمل فيما يُستقبل من الزمان وقد مضى القول أن السيد عزيز الدولة أعزَّ الله نصره يُصَغَّرُهُ إذا خرج وقد علمنا أن اسم الفاعل إذا صُغِّرَ بطل عمله... ولعل المرجفين بذلك يظنون أن السيد عزيز الدولة أعزَّ الله نصره قليل العدة وهو بنفسه الحميس اللجج ومثله في حلب حرسها الله مثل الضمير يُضَمَّرُ فيختصر.» (م.ن: ٥٢٨)

والمعلومات التي يقدمها أبو العلاء خلال كلماته تدل على اشتداد الحرب النفسية التي شنتها الرومان لتضعيف معنويات أبناء حلب: «وزعم المرجفون من أهل ملة الطاغية أنه قد أمر قوما من أهل عمله بحفر أماكن في بلده ظن المرجفون أن حفرها يكون قوة لزيادة الماء في السعيد قُويق ... حتى يكون ثالثا للرافدين وهما دجلة والفرات ...». (م.ن: ٥٥٠) ثم يقترح ليكن يشن المسلمون أيضا حربا اعلامية ضد الروم: «ولولا أن الكذب لا يحسن بأهل الإسلام ولا بأحد من الناس لجازيناهم على كذبهم الظاهر ... وما الذي كنا نقول لو استحسنا ذلك؟ كنا نقول أن السيد عزيز الدولة أعزَّ الله نصره قد راسل أمير المؤمنين الظاهر لإعزاز دين الله بأن يأمر الحفدة والأعوان والعلماء

بالهندسة ومجارى المياه أن يصرفوا البحر عن مدينتهم قسطنطينية إلى جهة أخرى حتى ينضب ما بينها وبين بلاد المسلمين من ماء البحر فيصير أرضا مسلوكة تسافر فيه الناقة والبعير ويمكن الجيوش المنصورة أن تسلكه لفتح مدينتهم... إن السيد عزيز الدولة أعز الله نصره يرأسل أمير المؤمنين في خرق "بحر القلزم" إلى "بحر الروم" ليكثر الماء على مدينتهم فيغرقها وقال بعض المفسرين في قوله تعالى: ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ أراد بالخزى فتح مدينتهم العظمى ... والله يجعل ذلك على يدي عزيز الدولة...» (م.ن: ٥٥٥-٥٥٢)

الفأل والطيرة في الرسالة

من الأساليب التي يستفيد منها المعري في مجال الحرب النفسية ضد الروم والرفع من معنويات المسلمين، هو التنبؤ بهزيمة العدو وانتصار المسلمين على طريق التفأل والتطير بأسماء مدن الشام وأثمارها وأزهارها وأسماء قادة العدو وفي هذا المجال يستفيد من كنز معلوماته اللغوية. يقول أبو العلاء «وأريد أن أذكر أشياء على الفأل للمسلمين والطيرة للعدو إن شاء الله فأقول إن هذا الطاغية إن أخذ طريق "مرعش" فقسّمناها شطرين وحملناها على قصة هدى وهدهد وعلى قول بعض الناس في عطر "منشم" أنه من شم فإن شطرها الأول من قولك مرّ فلانٌ وذهب أى مات وهلك وعش مقاربة لفظ عشّ الشجر إذا يبس ورقه... وأما معرّة النعمان، فمعرّة للعدو من قوله تعالى: فَتُصِيبُكُمْ مِنْهُمْ مَعْرَةٌ بَغِيرَ عِلْمٍ. أى شدة وقال بعض أهل اللغة المعرة نجوم في السماء دون المجرة فإن صحّ ذلك فهي فال أى هي عزيزة كعزّ النجوم ... و"حمّة" تحتل ثلاثة أوجه؛ الأول أن تكون فعلةً في الحماية فحسبك بهذا فألا للمسلمين والثاني أن تكون من حمّة الزوج فتلك طيرة على العدو...» (م.ن: ٦٥٧-٦٤٩)

وهكذا يذكر أبو العلاء أسماء مدن الشام على طريق الفأل للمسلمين والطيرة للروم ثم يتطرق إلى أسماء الأزهار والثمار والنبات «وأما الريحان فهو للمسلمين ريّ حان من ريّ العطش وأما الخيري فهو فعلى من الخوار أى خار من الفزع على معنى الطيرة وهو للمسلمين من الخير والخيرة ولو رأى النرجس لكتنا نرجس عليه من رجيس العدو ...

والسَّماق للسيد عزيز الدولة أعزَّ الله نصره فال بالسُّموق لأنه جمع سَامِق أى أصحابه
يَسْمُقُونَ وَيَعْلُونَ وإذا حملناه على الطَّيْرَةَ للعدو فهو سُمٌّ أَى أطلع...» (م.ن: ٦٧٤ و ٦٧٥)

ولا يكتفى بذلك، بل يتناول أسماء أصحاب ملك الروم على طريق الفأل والطيّرة
«وَمَا يُحْمَلُ عَلَى الْفَأْلِ وَالطَّيْرَةَ مِنْ أَسْمَاءِ أَصْحَابِهِ الدَّمَا سَقَةَ جَمْعُ دُمُسْتَقٍ، تَجْعَلُهَا دِمَاءَ
سِقَةٍ فَالدَّمَاءُ جَمْعُ دَمٍ وَالسِّقَةُ الْمَصْدَرُ مِنْ قَوْلِكَ وَسَقْتُهُ وَسَقَا وَسِقَةً إِذَا طَرَدْتَهُ ... أَى
يُطْرَدُونَ وَتُسْفَكُ دِمَاؤُهُمْ ... وَالْأَسَاقِفَةُ تَحْمِلُ أَمْرَيْنِ: أَحَدُهُمَا أَنْ يَكُونَ أَسَى قُفَّةٍ وَالْمَعْنَى
حَزَنُ شَيْخٍ كَبِيرٍ يُقَالُ لِلشَّيْخِ الْكَبِيرِ قَدْ صَارَ قُفَّةً... وَالْآخَرُ أَنْ يَكُونَ أَسَاءَ قُفَّةٍ مِنَ
الْإِسَاءَةِ... أَى أَسَاءَ هَذَا الشَّيْخِ وَهُوَ الطَّاعِيَةُ.» (م.ن: ٦٨١-٦٧٩)

لعبت الأيدولوجيا في تكوين هذا القسم من الرسالة دورها أيضا لأن الفأل والطيّرة
كانت من عادات العرب القديمة فدفعت أبا العلاء إلى التّفأل بانتصار المسلمين وهزيمة
العدو على طريق التّفأل والتطير بأسماء مدن الشام وأثمارها وأزهارها وأسماء قادة
العدو ومن جهة أخرى لأنه كأديب مسلم يؤمن بأن المسلمين على حق والكفار ليسوا
على حق. ونرى أبا العلاء متفائلا بنصر المسلمين وهزيمة العدو.

الخطاب الاجتماعي

مما يلفت النظر في هذه الرسالة، أن أبا العلاء يصور الظروف الاجتماعية لحلب
وأعمالها وأحوال مختلف شرائح المجتمع خلال هذه الأزمة بدقة تدل على أنه لم يكن
رجلا منعزلا عن الناس والمجتمع غير مُهتم بمشاكله. مثلا يشرح اختلاف آراء الناس
حول البقاء في حلب أو مغادرتها ويصف أحوال الشرائح المختلفة من المسلمين واليهود
والنصارى والكبار والقضاة والتجار وأصحاب الثروات والعوام من النساء والرجال
ويصف حالات المقيمين والنازحين ودائما يشبه هذه الأحوال والظروف بالقضايا
العروضية أو النحوية: «وتختلف آراء الناس في هذه الجولة وغيرها من الجولات ويكون
اختلافها متباينا كاختلاف العرب في النشيد؛ فالمقيم منهم مثله مثل الذى يقف على
البيت المطلق إذا أنشده بالسكون، فيقول:

أَقْلَى اللّوَمَ عَاذِلَ وَالْعِتَابَ وَقُولِي إِنْ أَصَبْتُ لَقَدْ أَصَابَ
والذِي يَفِرُّ إِلَى مَظَنَّةِ الأَمْنِ، مَثَلُهُ مَثَلُ الذِي يُثَبِتُ الأَلْفَ لِلتَّرْنَمِ فيقول: العتابا وأصابا
... وَمَنْ رَحَلَ إِلَى مَوْضِعٍ لَا يَأْمَنُ فِيهِ فَمَثَلُهُ مَثَلُ مَنْ يُنَوِّنُ القَوَافِي فِي غَيْرِ مَوْضِعِ
التنوين...» (م.ن: ٤٦٥ و ٤٦٦)

في مَوْضِعٍ آخَرَ نَرَى أبا العلاء يَسْتَعِينُ بِالأَمْثَلَةِ النَحْوِيَّةِ لِيَصُورَ لَنَا أحوالَ النَّاسِ
الوَجِلِينَ مِنْ غَزْوِ الرُّومِ: «والشَّدائدُ في هَذِهِ الرُّوعَاتِ تَحْمَلُ المِطَاطُولَ مِنَ القَوْمِ عَلَى
أَنْ يَتَوَاضَعَ وَالغَنَى عَلَى أَنْ يَتَهَيَّأَ بِهَيْئَةِ الفَقِيرِ فيشبه الممدود إذا قُصِرَ كما قال العَرَجِيُّ:
أَنْزَلَ النَّاسَ فِي الظُّوَاهِرِ مِنْهَا وَتَبَوَّأَ لِنَفْسِهِ بَطْحَاهَا
وَالطَّمَعُ مِنَ أَهْلِ الحِيسَةِ فِي مِثْلِ هَذِهِ الحَادِثَةِ يُحَسِّنُ لَهُمُ التَّطَاوُلَ وَتَتَّبِعُ رِحَالَ الضَّعْفَاءِ
فِيكُونُ مِثْلَهُمْ مِثْلَ المَقْصُورِ إِذَا مُدَّ... وَهَذِهِ النَّائِبَةُ تَلْزِمُ الذِّينَ يَتَظَاهَرُونَ بِالأُغْمِ وَالْفَقْرِ أَنْ
يَخْرُجُوا مَا يُخْفُونَ مِنَ الذَّخِيرَةِ يَسْتَعِينُونَ بِهَا عَلَى اكْتِرَاءِ الحِمَارِ وَالرَّاحِلَةِ مِثْلَ المَدْغَمِ
أَظْهَرَتِ الضَّرُورَةُ مَا عِنْدَهُ كَمَا قَالَ العَجَّاجُ:

إِنَّ بَنِيَّ لِلثَّامِ زَهْدَةٌ مَا لِيَّ فِي صَدُورِهِمْ مِنْ مَوَدَّةٍ

يريد مودة.» (م.ن: ٤٢٥-٤٢٣)

وَيَتَطَرَّقُ إِلَى الحَالَاتِ المَحْتَمَلَةِ الَّتِي تَطْرَأُ عَلَى النَّاسِ خِلالَ هَذِهِ الأَزْمَةِ وَرَدُودِ فَعْلِهِمْ:
«وَبِمَا طَمَعَ الجَارُ لِهَذِهِ الفِتْنَةِ إِذَا كَانَ مِنَ أَهْلِ الشَّرِّ فِي جَارِهِ إِذَا كَانَ مِنَ أَهْلِ الحَيْرِ فَعَدَا
عَلَى مَنزِلِهِ فَأَخَذَ مَا فِيهِ فَأَشْبَهَ فَعْلَهُ ذَلِكَ نَقْلَ الحِرْكَةِ مِنَ الحَرْفِ إِذَا وَقَفَ عَلَيْهِ إِلَى مَا
جَاوَرَهُ مِنَ الحُرُوفِ.» (م.ن: ٤٤٠)

وَيَتَحَدَّثُ عَنِ اسْتِعْدَادِ الكِبَارِ مِثْلَ قَاضِي حَلْبِ لِلخُرُوجِ وَالفرارِ مِثْلَ الأَمْثَلَةِ
النَحْوِيَّةِ: «وَأَمَّا القَاضِي فَتَرَكَ هَذِهِ الأَرْضَ وَالحَقَّ بِوِطْنِهِ "بِالسِّ" رَدَّتْهُ إِلَيْهَا الضَّرُورَةُ
فَكَانَ مِثْلَهُ مِثْلَ المَرْفُوعِ مِنَ الأَعْلَامِ فِي النِّدَاءِ لَمَّا لِحِقَّتْهُ الضَّرُورَةُ فَتَوَّانَ رَجَعَ إِلَى أَصْلِهِ
وَهُوَ النِّصْبُ كَمَا قَالَ مَهْلَهُلُ:

ضَرَبَتْ صَدْرَهَا إِلَى وَقَالَتْ

يَا عَدِيًّا لَقَدْ وَقَفْتُكَ الأَوَاقِي.»

(م.ن: ٤٤٧ و ٤٤٨)

يتحدث عن دقائق أحوال الناس في جزئياته مثلاً أحوال الشركاء الخائفين من غزو الروم: «ويدعو ما يلقاه النافرون من ضيق الأنفس وحرَج الصدور إلى تشاجر الشركاء واختلافهم في الجهات المقصودة ويحملهم ذلك على الفرقة... فربما كان الرجلان شريكين ولكل واحد من رأس المال ما يمكن أن يستبضع فلا تضره الفرقة فيكون مثلهما مثل قناديل وسمادير إذا قسمت هاتان الكلمتان وما كان مثلهما من الكلام فإن الشطرين يمكن لكل واحد منهما نطق الناطقين وإن اختلفت المعاني قبل القسمة وبعدها... وقد يكون الشريكان لأحدهما أكثر من الآخر وتكون لصاحب القليل بقية بعد الفرقة فمثلهما مثل مساجد وسفرجل إذا أخذ منهما: مسا وسفر بقى منهما أقل مما ذهب...» (م.ن: ٥٠٢ و ٥٠٣)

في موضع آخر، يتحدث الثعلب عن أخبار الناس واجتماعهم في المساجد والكنائس وهم يتشاورون حول الإقامة في المدينة أو مغادرتها «فَسَمِعْتُ الجالية يشتورون في المساجد والكنائس ويُديرون الرأي فلا تنصرم لهم عزيمة ولا تبرم بأيدهم مرة بل يختلفون اختلاف العرب في الوقف فبعضهم يقف على السكون... وبعض العرب يُشم ويروم عند الوقف.» (م.ن: ٥٠٦)

أحوال اليهود والنصارى

ويصف أبو العلاء أحوال الأقليات المذهبية من اليهود والنصارى وردود فعلهم تجاه هذه الأزمة التي تدل على حرية النشاطات الاقتصادية والاجتماعية لأهل الكتاب في حلب في عهد أبي العلاء. (م.ن: ٤٩٤-٤٥٩) على سبيل المثال يصف أحوال التجار من اليهود: «وإنك لترى الرجل من يهود وهم أهل لين وضعف يُظهر التّشدد والتجلد على ما نزل، فيخرج به ما فعل عن الطبع ويكون مثله مثل الحرف الذي يقع به التشديد في الوقف ثم يُستعمل كذلك في الوصل فينكره السمع وتنفّر منه الغريزة... ويهود لا بد لها من لين ومثلها مثل الأشعار التي لا تخلو أواخرها من الحروف اللينة وإنما ألزمت ذلك لأنه أحسن بها عند السماع وأسلم لها في اللفظ...» (م.ن: ٤٦١ و ٤٦٢)

نرى أن مجتمع أبي العلاء يصور خطابه في هذه الرسالة، فيصور أحوال الناس

ومخاوفهم ويعكس أفكارهم بدقة وتلعب الأيديولوجيا دوره في تصويره هذا فيميز بين المسلمين والنصارى واليهود لأن السلطة الثقافية والاجتماعية تميز بين الناس حسب معتقداتهم وانتماءاتهم الدينية والمذهبية.

النتائج

١. يمكن لنا أن نقسم خطاب أبي العلاء المعرى في هذه الرسالة إلى أربعة أنواع: الخطاب الأدبي الذى يضم معلوماته الواسعة في مجال الشعر واللغة والنحو والعروض، والخطاب السياسى الذى يتمثل في تصويره للقضايا السياسية بين والى حلب وملك الروم، والخطاب الاجتماعى الذى يتبلور في تصويره لأحوال الناس خلال أزمة غزو الروم لحلب، وخطاب الدعاية المتمثل في الحرب النفسية بين الروم والمسلمين.
٢. اختار أبو العلاء التعقيد في لغته والسجع والغريب لأن السلطة الثقافية في عصره تتطلب هذا الاستخدام وكما يشير فيركلاف إلى أن الخطاب يصنع الثقافة والثقافة بدورها تصنع الخطاب، أسلوب أبي العلاء بدوره يساعد على تقوية هذا النوع من الخطاب الأدبي.
٣. عرض أبو العلاء في هذه الرسالة تضلعه من علوم اللغة والنحو والعروض حيث مكّنه من تشبيه أنواع حالات الناس بقضية نحوية أو عروضية أو لغوية وعلاوة على هذا، تدل هذه الرسالة على اطلاعه الواسع على مستجدات عصره وما كان يجرى حوله وأنه لم يكن رجلا منعزلا عن الناس والمجتمع بل شارك همومهم وهو اجسهم خلال رسالته.
٤. أقام أبو العلاء الصلة بين الخطاب السياسى والاجتماعى والأدبي؛ حيث شبّه أحوال الناس والقضايا السياسية والاجتماعية بالموضوعات الأدبية والنحوية والعروضية. تدل هذه الظاهرة على دور السلطة الثقافية - في تصويره للقضايا الاجتماعية والسياسية - التى تولى الشعر والنحو عناية فائقة.
٥. لعبت السلطة الثقافية والسياسية دورا لا يستهان به في تكوين خطاب أبي العلاء

ولغته؛ في الصور المختلفة التي عرضها أبو العلاء؛ صورة العلاقات بين ملك الروم وأمير حلب، الصورة الإيجابية لأمير حلب والصورة السلبية لملك الروم، صورة أحوال الناس من الكبار والفقهاء والتجار والسوقة واليهود والنصارى، حتى في صعيد التفأل والتطير لصالح المسلمين وعلى حساب الروم.

٦. صور أحوال الناس ومختلف شرائح مجتمع حلب في الأزمنة التي حدثت بسبب الصفقات السياسية بين عزيز الدولة أمير حلب وبسيل ملك الروم، كما تحدث عن الحرب النفسية بين الروم والمسلمين واقترح بنفسه دعايات حربية في هذا المجال.

المصادر والمراجع

العربية:

- ابن أبي جرادة، عمر بن أحمد. ١٤٢٥ق. زبدة الحلب من تاريخ حلب. حققه سهيل زكار. ط ٢. دمشق: دار الكتاب العربي.
- الجندي، سليم. ١٩٨٦م. نواحي التجديد والتقليد في نثر أبي العلاء؛ أبو العلاء المعري حياته وشعره. بيروت: المكتبة الحديثة.
- خريباتي، جعفر. ١٩٩٠م. أبو العلاء المعري رهين المحسين. ط ١. بيروت: دار الكتب العلمية.
- رزق، صلاح. ٢٠٠٦م. نثر أبي العلاء المعري دراسة فنية. القاهرة: دار غريب.
- ضيف، شوقي. لا تا. الفن ومذاهبه في النثر العربي. ط ١٢. القاهرة: دار المعارف.
- طباخ، محمد راغب. ١٤٠٨ق. اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء. ط ٢. حلب: دار القلم العربي.
- الطرابلسي، أمجد. ١٣٩٤ق. «رسالة الصاهل والشاحج لأبي العلاء المعري». مجمع اللغة العربية بدمشق. المجلد التاسع والأربعون. ربيع الأول. العدد ٢.
- المحاسني، زكي. ١٩٤٧م. أبو العلاء ناقد المجتمع. دمشق: دار الفكر العربي.
- المعري، أبو العلاء. ١٩٨٤م. رسالة الصاهل والشاحج. حققها عائشة عبدالرحمن بنت الشاطي. ط ٢. القاهرة: دار المعارف.
- المقدسي، أنيس. ١٩٨٦م. «بيئة المعري وأثرها في شعره». أبو العلاء المعري حياته وشعره. بيروت: المكتبة الحديثة.
- ### الفارسية:
- آقاگل زاده، فردوس، ١٣٨٥ش. تحليل گفتمان انتقادی. فردوس آقاگل زاده. تهران: شرکت انتشارات علمی وفرهنگی.

- خوراسگانی، علی ربانی و خوشآمدی، مرتضی. ۱۳۹۰ش. «بررسی تطبیقی رویکردهای انتقادی به تحلیل گفتمان». فصلنامه علمی پژوهشی روش شناسی علوم انسانی. سال ۱۷. شماره ۶۸. پاییز. صص ۱۱۷-۱۴۴.
- فرکلاف، نورمن. ۱۳۷۹ش. تحلیل گفتمان انتقادی. فاطمه شایسته پیران و دیگران. ج ۱. تهران: وزارت فرهنگ و ارشاد اسلامی مرکز مطالعات و تحقیقات رسانه ها.
- مکاریک، ایرنا ریما. ۱۳۸۵ش. دانشنامه نظریه های ادبی معاصر. مهران مهاجر و محمد نبوی. ج ۲. تهران: نشر آگه.
- مک دانل، دایان. ۱۳۸۰ش. مقدمه ای بر نظریه های گفتمان. حسینعلی نودری. ج ۱. تهران: انتشارات فرهنگ گفتمان.
- ون دایک، تئون. ۱۳۹۴ش. تحلیل متن و گفتمان. ترجمه پیمان کی فرخی. ج ۱. آبادان: نشر پرسش.
- یار احمدی، لطف الله. ۱۳۸۳ش. گفتمان شناسی رایج و انتقادی. ج ۱. تهران: هرمس.
- یورگنسن، ماریان و فیلیپس، لوئیز. ۱۳۹۳ش. نظریه و روش در تحلیل گفتمان. ترجمه هادی جلیلی. ج ۱. تهران: نشر نی.